❁ إشكالية ترجمة النصوص المقدسة

-ترجمة القرآن الكريم بين الاستحالة و الإمكانية-

أ. بولحية هدى

أستاذة مساعدة- كلية العلوم الإسلامية

- جامعة الجزائر-

Abstract :

This paper was conducted to determine whether there is a possibility to translate the sacred texts of monotheistic religions especially Quran considered as untranslatable by the faithful and also by many famous translators whose opinions were mentioned hereafter to prove the specificity of Quran's language, spirit, temper, and rhythm. The purpose of this paper based on researches done by Nida, Margot and other scholars in the field of religious translation is to analyse deep questions such as: sacred language, receiver's culture, linguistic universals, adaptation …

Key words: Quran, translation, language, culture, equivalence, adaptation…

مقدمة :

جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴿٢﴾ ﴾سورة يوسف، كما قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ و قال سبحانه و تعالى في سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ كما قال في سورة يونس: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أما في سورة الإسراء فجاءت الآية كالتالي: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

أما الآيات الأولى من سورة يوسف وسورة الشعراء فهي تأكيد على أن القرآن نص عربي و هو ما يعطي نوعا من القداسة لهذه اللغة التي شرفها الخالق بآخر الكتب السماوية، وهو ما يمزج كذلك بين محتوى النص كونه نصا إلهيا جاء بحقائق للعرب و البشرية جمعاء وبين اللغة التي صيغت فيها هذه الحقائق أي أن اللغة في هذه الحالة ليست مجرد وعاء يحمل معنى ما وإنما جزء لا يتجزأ من هذا المعنى أو على الأقل كل منهما يشكل مع الآخر لحمة يصعب شطرها إلى جزأين.

وأما عن آيات سورة هود وسورة يونس فهي تحدّ للمكذبين بأصالة وألوهية القرآن، الذين قالوا بأنه مجرد نص جاء به بشر ونسبه إلى الله، فوضعهم الله أمام بطلان زعمهم بأن يأتوا بعشر سور أو حتى بسورة واحدة كسور القرآن الكريم إذا صحّ ما يزعمون بأن قريحة محمد هي التي جادت بالقرآن و أنه ليس وحيا إلهيا، وبدليل هذه الآيات، فالقرآن نص إلهي مقدس عالي الجودة اللغوية والأدبية و الشعرية ،لا يمكن لبشر مهما كانت بلاغته وفصاحته، أن بأتي بمثله، علما أن هذه الآيات خاطبت العرب وهم أهل الشعر والبلاغة وأكثر الناس سرعة في إيجاد الصور البيانية و المحسنات البديعية نظرا للبيئة التي يعيشون فيها، وهو السبب الذي جعلهم يتهمون الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بالشعر والكذب في ادّعاء النبوة.

أما الآية الأخيرة و هي من سورة الإسراء فهي نفي قاطع لأن يكون هناك نص شبيه بالنص القرآني يأتي به أحد سواء من الإنس أو الجن، حتى لو توحدوا كلهم من أجل ذلك، فالله بهذا حسم الموضوع في وجه كل من يشكك في ألوهية هذا النص أو في إعجازه اللغوي وحقائقه والرسالة التي يحملها.

من خلال ما تقدم من الآيات ،يمكن القول باختصار أن القرآن في معتقد كل المسلمين الذين يؤمنون بهذا الكتاب، هو نص إلهي مقدس، عربي، أصلي، فريد من نوعه لا شبيه له، معجز لغويا، لا يمكن الإتيان بمثله أو بجزء بسيط منه.

إذا أضفنا إلى كل هذا أنه نص محمي و محفوظ من عند الله أي أنه غير قابل للتحريف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر – الآية 9) فإن النتيجة التي يمكن أن نخرج بها قد تسبب إشكالية كبيرة فيما يخص ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، وقد تتعارض بديهيا مع أي محاولة لنقل هذا النص المقدس إلى لغة أخرى باعتبار أن مجرد المساس باللغة العربية قد يكون في حد ذاته مساسا بقداسة هذا النص، كونه نصا عربيا كما جاء في فحوى الآية، فقد يذهب البعض إلى القول باستحالة ترجمة النص القرآني أو ربما بحرمانية ذلك، فكيف ينظر إلى هذه المسألة من وجهة نظر لغوية ترجمية؟ هل فعلا يستحيل ترجمة القرآن الكريم؟ وإذا كانت هذه الترجمة ممكنة، فما هي شروطها؟ أو ما هي العوامل التي تجعل هذه العملية تعطي ثمارها بأقل خسائر ممكنة؟.

إشكالية ترجمة الكتاب المقدس عند اليهود والمسيحيين:

قبل أن نمر إلى تعريف الترجمة والغرض منها عموما وفي المجال الديني خصوصا، لابد من الإشارة إلى أن إشكالية ترجمة النصوص المقدسة لاتخص القرآن الكريم لوحده وإنما تشمل الديانتين السماويتين الأخرتين أي أن كل من اليهودية والمسيحية عرفتا نفس المسألة فيما يخص امكانية ترجمة كل من التوراة أو الكتاب المقدس إلى اللغات الأخرى، فبالنسبة لليهود هناك اعتقاد شبيه بما هو موجود عند المسلمين أي بأن اللغة العبرية هي لغة التوراة وهي بهذا لغة مقدسة، حتى أن الحاخامات اليهود لا يعتمدون إلا التوراة العبرية كنص مقدس واللغة

العبرية عندهم هي اللغة الوحيدة التي تدرك هذا العالم إدراكا حقيقيا لأن الرب في معتقدهم خلق العالم والتوراة سوية و قدم التوراة بعدها للشعب اليهودي بهذه اللغة، غير أن هذا الاعتقاد لم يحل دون ترجمة التوراة إلى عدة لغات منذ القدم إذ نجد الترجمة اليونانية للتوراة بالنسخة السبعينية حوالي القرن الثالث قبل الميلاد إلى جانب نسخة أكيلا في القرن 2 بعد الميلاد .

والترجمة الأرامية بنسخة أنكلوس في القرن 2 بعد الميلاد، والترجمة العربية وهي نسخة سعدية بن يوسف الفيومي في القرن العاشر، ثم في الزمن المعاصر نجد الترجمة إلى لغات أخرى مثل الألمانية واليديشية والانجليزية ...إلخ، لكن الأمر يختلف عند المسيحيين فهم لم يتعرفوا على تعاليم المسيح إلا من خلال اللغة اليونانية كلغة أصلية للأناجيل الأربعة ثم أعيدت ترجمتها إلى السريانية واللاتينية وأما العهد القديم فعرفوه بالنسخة اليونانية (السبعينية) ثم اللاتينية خاصة ترجمة القديس جيروم (من العبرية إلى اللاتينية بالنسبة للعهد القديم ومن اليونانية إلى اللاتينية بالنسبة للعهد الجديد) بين القرن الرابع والخامس والتي اعتمدتها الكنيسة سنة 1546 من خلال مجلس الثلاثين، مرسخة إياها النسخة الوحيدة الأصلية والرسمية للكنيسة الكاثوليكية فأصبحت متداولة واعتمدها المترجمون فيما بعد كنص أصلي، إلا أن هذا لم يمنع الكنيسة من إعدام المترجمين الذين كانوا يحاولون نقل الكتاب المقدس إلى اللغات العامة أي اللغات المحلية التي يفهمها

عامة الشعب باعتبار أن كل من اللاتينية واليونانية كانتا لغتي العلم و الدين، لا يتقنهما سوى نخبة المتعلمين من النبلاء والبرجوازيين ورجال الكنيسة وقتها فالتاريخ لايزال يتذكر حرق كل من التشيكي جون هو س Jean Hus سنة 1415، والإنجليزي وليام تايندال William Tyndale سنة 1536 والفرنسي إتيان دوليه Etienne Dolet سنة 1546 وغيرهم بعد أن اتهموا بالهرطقة heresy، غير أن الترجمة الأشهر للكتاب المقدس هي ترجمة مارتن لوثر Martin Luther إلى الألمانية، هذا المترجم ورجل الدين الذي تمرّد على الكنيسة الكاثوليكية، وأسس المذهب البروتستانتي كانت له طريقته الخاصة في الترجمة مبنية على أساس عقدي يتمثل في ضرورة إخراج المسيحيين من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تحتكر الدين وتمنع الناس من محاولة فهم الكتاب المقدس كي يضلوا تابعين لها و تحت هيمنتها، يقول لوثر كينج عن ترجمته: "ليس علينا أن ندرس الحروف اللاتينية كي نعرف كيف نتكلّم الألمانية، كما يفعل هؤلاء الأغبياء، لكن علينا أن نسأل الأم في المنزل، والأطفال في الطريق، والرجل العادي في السوق، وندقق في أفواههم، كي ندرك كيف يتكلمون، ثم نترجم بعدها، حينئذ فقط سيفهمون ويلاحظون أننا نكلمهم بالألمانية. "[1] (ترجمتنا). هذا القول دليل قاطع على أن الترجمة خيار لغوي وعقدي أو إيديولوجي أحيانا (ليس بالضرورة)، فلوثر كينج أراد أن يعرف الألمان الدين المسيحي الحقيقي مباشرة من الكتاب المقدس دون أي وسيط يستغلّ الدين لحسابه الخاص، وهو

ماجعله ينقل هذا النص إلى العامة من الألمان كحركة تنويرية تخرج المسيحيين من ظلمات الكنيسة الكاثوليكية. لكن ماذا عن ترجمة القرآن الكريم؟وكيف تعامل المسلمون مع هذه الظاهرة ؟

ترجمة معاني القرآن الكريم بدلا من ترجمة النص:

سبقت الإشارة إلى اعتقاد المسلمين بعروبة النص وقداسته واعجازه اللغوي وهو ما يؤدي إلى القول باستحالة ترجمة النص الأصلي أي النص الإلهي إلى نص مترجم من إنتاج بشري ،باعتبار أن الحقائق الموجودة في القرآن الكريم لايمكن استكشافها إلا من خلال اللغة العربية التي أنزل بها، وبأن هذه اللغة جزء أساسي من كيان النص، غير أن انتشار الإسلام في بقاع المعمورة ودخول العجم في هذا الدين يجعل من ترجمة معاني القرآن جزء لا يتجزأ من عملية الدعوة ،فالقرآن خاطب العرب وباقي البشر وبالتالي يحق لهؤلاء كذلك أن يفهموا ما جاء في كتابهم، كما يحق كذلك لغير المؤمنين أن يطلّعوا عليه ولو بدافع الفضول، لربما كان ذلك مدخلا لهدايتهم إلى الطريق السليم، وعليه نجدنا أمام حتمية نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، فالسؤال الأصلح إذا هو كيف ننقل هذه المعاني بأسلم طريقة ممكنة؟ كيف نترجم معاني الآيات القرآنية دون أن نتعثر في الأسلوب والمعنى؟ علما بما لهذا النص من خصوصية وحساسية فهو المعجزة اللغوية عند المسلمين، كيف إذا تترجم المعجزة؟.

الترجمة الحرة و الحرفية بين الأمانة و الخيانة:

قبل الخوض في ترجمة القرآن لابد أن نفهم أن الترجمة هي عملية تواصلية تسعى إلى ربط الجسور بين الأفراد والشعوب والحضارات على اختلاف ألسنتهم، فالمسلمون بنوا حضارتهم على علم اليونان وفلسفتهم، وكذلك أوربا خرجت من ظلماتها بفضل كتب المسلمين التي وجدت في الأندلس بعد سقوط الحضارة، وهكذا لا تزال الشعوب تأخذ عن بعضها البعض بنقل الفكر والعلم و الفن من لغة إلى أخرى. وقد اهتم بموضوع الترجمة قدامى المفكرين والعلماء والأدباء مثل شيشرون Cicero والقديس جيروم Saint Jerome وهوراس Horace وغيرهم، غير أن الصراع التقليدي فيما يخص الترجمة كان دوما حول الأمانة والخيانة في الترجمة فقد ارتبطت الترجمة الحرفية بمفهوم الأمانة في حين اعتبر أي ابتعاد عن أسلوب النص الأصلي خيانة له، وقد كان صلاح الدين الصفدي من الذين أشاروا إلى اشكالية الترجمة بين الحرية والحرفية عند العرب، وقد عاش في القرن 14 وكتب عن الأجيال الأولى من المترجمين العرب، يقول ناقدا:

"إن أولئك المترجمين ينظرون إلى كل كلمة إغريقية ومعناها ثم يحاولون إيجاد مقابل لها باللغة العربية وكتابته. بعد ذلك ينتقلون إلى الكلمة التالية ويقومون بنفس العملية السابقة. وهكذا إلى نهاية ما أرادوا ترجمته " (2)

وبيّن الصفدي عيوب هذه الطريقة من جهتين:

-افتراض وجود كلمة معادلة بالعربية لكل كلمة إغريقية

كما أن تركيب الجملة يختلف من لغة لأخرى

وقد ازدهرت الترجمة عند العرب في عصر الخليفة المأمون العباسي، وكان البعض يفضل الترجمة الحرفية مثل يوحنا بن البطريق وابن نعيمة الحمصي والبعض الآخر يفضل الترجمة الحرة مثل حنين بن اسحاق وقد كان ذلك منهج مدرسته في الترجمة و يعتبر كتاب "كليلة و دمنة "لابن المقفع خير مثال على منهج الترجمة الحرة التي يظهر فيها النص كما لو كان عربيا أصيلا في حين أنه منقول عن اللغة الفارسية . [3]

وقد كان مفهوم الأمانة قبل القرن السابع عشر يعني الترجمة الحرفية أي الالتزام بالألفاظ كما جاءت في النص الأصلي، وأصبحت تعني بعدها الالتزام بمعاني النص الأصلي كما جاءت تماما دون تعديل أو تكييف.

وفي قول ينسب إلى الحاخام يهوذا Rabbi Yehudah نجد مأزق المترجم بين الترجمة الحرفية والحرة: "يكذب من يترجم الآية حرفيا، كلمة بكلمة، ويكفر من يضيف شيئا. " (ترجمتنا) [4]، ولكل من هذين المنهجين مناصريهما فنجد ضمن أنصار الترجمة الحرفية نيومارك Newmark الذي يقول: "إن الترجمة الحرفية لا غبار عليها، وينبغي عدم تجنبها في حالة حفاظها على التعادلequivalence السليم مع النص الأصلي على مستوى القيم النابعة من

الإطار المرجعي للنص referential والقيم التداولية pragmatic الخاصة بمقاصد النص. "(5)

ويقول الأديب الروسي نابوكوف Nabokov رافضا مفهوم الترجمة الحرة:

"**الترجمة الحرفية** : هي نقل المعنى السياقي contextual meaning تماما كما ورد في النص الأصلي طالما سمحت بذلك القواعد النحوية وخصائص ترابط المعنى في اللغة الهدف، وهذه فقط هي الترجمة الحقة... وعندما يشرع المترجم في نقل "روح" النص لا المعنى الحرفي للنص يكون قد تعدي على حق المؤلف الأصلي" (6).

غير أن جون كلود مارغو Jean-Claude Mragot وهو باحث في مجال ترجمة النصوص المقدسة وفي كتابه " ترجمة دون خيانة " Traduire sans trahir يطرح فكرة الخروج من مأزق الثنائية حرفية/ حرة، وأمانة/ خيانة كنتيجة حتمية للثنائية الأولى فهو يرفض أن يقابل بين الأمانة تجاه النص الأصلي والوضوح الذي تهدف إليه الترجمة الحرة، ويرفض أن يرتبط مفهوم الترجمة الحرفية بالدقة في حين ترتبط أناقة وجمالية الأسلوب بخيانة النص، بل على العكس يبين جون كلود مارغو أن الترجمة التي ترتبط حرفيا بالنص الأصلي وعلى عكس ما يظنه الكثيرون، هي ترجمة محكوم عليها بالخيانة باعتبار أن كل لغة تعبر عن العالم بطريقتها، وتضع قوانينها الخاصة بها والتي تختلف عن اللغات الأخرى، فكيف لنا أن نساوي بين شيئين مختلفين تماما وأن يؤدي ذلك إلى نفس

النتيجة أي إلى نفس المعنى؟ إن الحرفية بهذا لا تؤدي إلا إلى الإخلال بالمعنى وإضفاء الغموض وسوء الفهم و تصوغ النص المترجم بأسلوب رديء لا هو خاص باللغة المستهدفة ولا هو اللغة الأصلية نفسها: "كل منهجية ترجمة مبنية على لوغارتميات من التوافقات بين الصيغ السطحية للغات (كما هو الحال في كل مشاريع الترجمة الآلية تقريبا) مآلها الفشل" [7] (ترجمتنا).

وبالتالي فالأهم ليس أن يوافق عدد الألفاظ الموجودة في النص الأصلي عددها في النص المستهدف (المترجم) وإنما في تعادل التراكيب السميائية بين النصين أي في انتقال وحدات المعنى من النص الأصلي إلى النص المستهدف بوضوح و مع احتفاظ كل لغة بخصوصيتها.

التعادل الصوري و التعادل الدينامي عند نايدا :

يعتبر نايدا Nida واحدا من أهم المنظرين في ترجمة الكتب المقدسة و له أبحاث هامة في منهجية ترجمتها قام بها مع تابر Taber و مع ريبرن Reyburn كذلك، لكن أهم ما جاء به نايدا فيما يخص الترجمة هو مفهوم "التعادل الدينامي" أي أنه بدلا من البحث عن انتاج نص مماثل للنص الأصلي بإيجاد متوافقات شكلية وهو ما يسميه نايدا "التعادل الصوري" لا بد من البحث عن إحداث أثر معادل لدى قراء النص المترجم كما حدث مع قراء النص الأصلي أي "التعادل الدينامي"، فعند نايدا وحده التعادل في أثري النصين لدى قراء كل منهما دليل

على نجاح الترجمة، وهو بهذا أخرج الترجمة من نظرتها اللغوية المحدودة إلى نطاق أوسع خاص بثقافة متلقي النص وبالتالي ردود أفعاله. كما يصرّ نايدا Nida أنه لا يمكن أن نوافق بين مفردات وألفاظ لغة ما بلغة أخرى (التعادل الصوري) ولا أسلوب هذه بتلك باعتبار أن لكل لغة خصوصيتها و أسلوبها و عبقريتها كذلك:

"إن المعيارين المسيطرين على اختيارات المترجم هي نوع الخطاب type of discourse وردود فعل القراء reader responses وبالتالي فإن التقيد بأسلوب النص المصدر في ظروف معينة قد يكون غير ضروري أو حتى ذا أثر سلبي معاكس، لأن معايير تعديل الأسلوب حسب أنواع الخطاب discourse المتعددة تختلف جذريا من لغة إلى أخرى. فما هو مناسب تماما في الإسبانية ،على سبيل المثال، يمكن أن يحكم عليه بأنه "زخرفة بديعية" purple prose غير مقبولة في الانجليزية، كما أن النثر الانجليزي الذي ننظر إليه بإعجاب وبتبجيل ونعدّه مؤثرا يبدو بالاسبانية جافا وسطحيا وخاليا من المحسنات البديعية، فالأدباء الاسبان يروق لهم أن يزينوا انتاجهم بالمحسنات البديعية الأنيقة الموجودة في لغتهم ،بينما يفضل معظم المؤلفين بالانجليزية الالتزام بالواقعية الصرفة و التنوع في كتاباتهم " (8)

إشكالية توحد اللغة بالمعنى:

إن الابتعاد عن التعادل الصوري و التركيز على التعادل الدينامي كما قال نايدا يعني ضرورة التركيز على المعنى و محاولة نقله دون أن نظل حبيسي أسلوب

النص الأصلي، لكن الأمور ليست بهذه البساطة حينما يتعلق الأمر بالنصوص الأدبية أو الشعرية أو الدينية و خاصة لما نتحدث عن القرآن الكريم الذي يتمتع بمستوى أدبي و بلاغي وشعري كذلك وهو ما يزيد من صعوبة عملية الترجمة، ففي النص الأدبي و الشعري لاتكون اللغة مجرد ناقل للمعنى وإنما جزء منه، ولا يهم وضوح المعنى بقدر ما يعني الأسلوب خاصة في القصيدة الشعرية مثلا، إذ يرجع بوجراند Beaugrande سبب فشل معظم ترجمات القصائد الشعرية إلى إصرار المترجمين على حل الإبهام في الشعر الذي يعد ركيزة النصوص الشعرية، وبالتالي فإن ترجمة الشعر لا يجب أن تعتمد على إيضاح المعنى و نقله و إنما على نقل الأسلوب الشعري أو محاكاته في لغة أخرى وعلى العموم فإن النصوص الأدبية ليست مجرد معاني وإنما جماليات أسلوبية وصور بيانية وإيقاعات ونظم ونغمات موسيقية وهكذا فالتلاحم يكون شديدا بين معنى النص وشكله، ونحن إذ نقول هذا لا نعني به أن القرآن نص أدبي أو شعري، لكنه نص يحمل سمات النص الأدبي والشعري من جماليات أسلوبية، وإيقاع شعري، وقوافي، وصور بيانية، ومحسنات بديعية... لكن على خلاف النصوص الأدبية والشعرية التي تهدف إلى غرض الامتاع، فإن النص القرآني يحمل رسالة إلهية كونية، وهو ما ذهب إليه الباحث العنتري الفول Elfoul Lantri في بحثه حول ترجمة القرآن الكريم الذي حلل فيه بعض ترجمات معاني سورة العلق إلى

اللغة الفرنسية، إذ يقول مشددا على التحام اللغة العربية بفحوى النص القرآني: "نعتقد أنه لا يجب اعتبار اللغة العربية مجرد ناقل للرسالة وإنما بعدا من أبعاد الرسالة كما هي: لولا خصائص اللغة العربية الأسلوبية و البلاغية لأعيقت هذه الرسالة (المعنى)، هده الخصائص هي التي تجعل من القرآن نصا "عالي الإلهام"، وهي التي تعطيه النبرات المختلفة: مرة صاعق، ولاهث ومحرض ومرة هادئ، ومتناغم بكل نعومة، ومرة أخرى مهيب ورفيع إلى جانب كل النبرات الأخرى التي تتوسط ما سبق والتي تجعل منه دوما نصا حيا و "متكلما" و فصيحا، أي فعالا، منذ أربعة عشر قرن من وجوده "[9] (ترجمتنا) ثم يطرح تساؤلا ويجيب عليه بنفسه: ماذا لو تصورنا القرآن الكريم مكتوبا بأسلوب نثري عادي ؟ في تلك الحالة لم تكن كل تلك الهزات و الثورة الجذرية في تاريخ البشرية لتحدث.

فهل يعود بنا هذا إلى نقطة البداية وهي قداسة اللغة العربية باعتبارها جزء لا يتجزأ من معنى النص القرآني.

قداسة لغة النصوص الدينية:

يشير جون كلود مارغو إلى مفهوم قداسة اللغة قائلا: " ... وبهذا فالإنسان غير مطالب بتعلم لغة مقدسة كي يعرف الإله ، وإنما الإله هو من يقترب منه ليسائله في اللغة التي يفهمها. مفهوم اللغة المقدسة خاص بديانات أخرى، لكنه غريب عن عالم الكتاب المقدس "[10] (ترجمتنا) هذه الديانات الأخرى التي يقصدها مارغو هي اليهودية والإسلام اللذان يعتبران اللغة جزء أصيلا وأساسيا

من النص المقدس، إذ يرى العنتري الفول في بحثه أن كلمة "آيات" كما هي موجودة في القرآن الكريم تعني الحقائق التي وزعها الله في القرآن والتي يطالب الانسان بتدبرها وإدراكها بالتساؤل والتحليل و التفسير العقلي والحسي لهذا العالم، والذي يرشده إلى كل تلك الآيات أو الحقائق هي تلك الأجزاء من القرآن الكريم والتي سميت "آيات" كذلك أي أن الإنسان مطالب كذلك بالتعمق في تلك الأجزاء و تحليلها وتفسيرها كما يفعل مع ما يحيط به في هذا العالم، ومدخل كل هذا هو القراءة، قراءة القرآن، ولهذا سمي كتاب الله "القرآن"، وعليه فإن لغة القرآن ليست وسيلة لإيصال الحقائق وإنما جزء من هذه الحقائق، وإذا ما أخذنا اللغة العربية الموظفة في القرآن لوجدناها تختلف كثيرا عن التي نستعملها اليوم وهو ما يشكل عائقا أكبر بالنسبة للمترجمين الذين سواء كانوا من أصحاب اللغة أو من المستشرقين الذين درسوا اللغة العربية دراسة أكاديمية فقط.

ترجمة معاني القرآن الكريم عند محمد أسد:

يرجع محمد أسد Muhammad Asad وهو من أشهر مترجمي معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، سبب فشل ترجمات معاني القرآن التي قام بها المترجمون من العرب أو المستشرقين، إلى أن أصحابها اكتفوا بتعلم اللغة العربية في الكتب أو في المدارس والجامعات، في حين أن ذلك لا يكفي للوصول إلى عمق

المعاني و حقيقتها ،فكي نفهم اللغة لابد أن تحدث فينا نفس الأثر الذي تحدثه في صاحبها، وبما أن لغة القرآن الكريم هي لغة شبه الجزيرة العربية فلا بد أن تكون ردة فعل متلقيها شبيهة بردة فعل البدو الذين يسكنون الصحراء العربية، لهذا يقترح محمد أسد على المترجمين أن يعيشوا مدة لا بأس بها هناك (وهو ما فعله قبل أن يترجم معاني القرآن الكريم) كي يطوروا إحساسهم باللغة العربية القرآنية، لأن عربية المدن والمشرق لا تشبه عربية أهل البدو بل يعتبرها مليئة بالشوائب التي تحول دون وصول معاني القرآن الحقيقية للمترجم "بما أن كل لغة هي مجموعة من الرموز تعبر عن إحساس مستعمليها الخاص بقيم الحياة وعن طريقتهم الخاصة في نقل إدراكهم للحقيقة، فمن البديهي أن لغة العرب، وهي لغة سامية لم تتغير منذ قرون عدة، تختلف كثيرا عن ما تعود عليه العقل الغربي."[11] (ترجمتنا) وهو ما نجده في ردة فعل الكاتب والأديب والمؤرخ البريطاني توماس كارليل Thomas Carlyle عندما علق على ترجمة جورج سايل George Sale، وهو مترجم بريطاني شهير قام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الانجليزية في القرن الثامن عشر، إذ يقول كارليل بعد قراءته للترجمة : "إنها أكثر قراءة مضجرة قمت بها في حياتي، نص ممل ومتعب، هو خليط فظ دون معنى، لا شيء سوى الاحساس بالواجب من شأنه أن يدفع الأوربي إلى إنهاء قراءة القرآن "[12] (ترجمتنا) مع العلم أن المتحدث لم يعرف عنه التعصب يوما تجاه الاسلام بل على العكس عرفت عنه ليبراليته في ذلك الزمن، وبالتالي فإن ما

دفع كارليل لقول ما قاله لا يرجع لأحكام مسبقة عن القرآن ولا لتعصب ديني بل إلى خلل حقيقي في ترجمة جورج سايل سببها ذلك الاختلاف الحقيقي بين اللغة العربية واللغة الانجليزية، هذا الاختلاف الحتمي بالنسبة لمحمد أسد لا يرجع فقط لاختلاف النحو والتراكيب فقط ولا لثراء اللغة العربية فقط نظرا لما تمارسه من اشتقاق على جذر الكلمات مما يؤدي إلى العدد المهول من الألفاظ الناجمة عن نفس المصدر بمعاني مختلفة تماما و إنما يرجع كذلك إلى اختلاف الروح ومعنى الحياة عند العرب، ولهذا لابد من إدراك الحياة والاحساس بالعالم وحقيقته من وجهة نظر العرب البدو، أي أن اللغة هنا ليست مجرد علامات لغوية بل هي إدراك ونمط حياة، فالبدو الذين يعيشون في الصحراء حياة صعبة موحشة، علاقتهم بالزمن وبالعالم مختلفة عن أهل المدن، فهم سريعوا البديهة، قادرون على استحضار سيل من الصور الذهنية في وقت قياسي دون أدنى مجهود والانتقال من فكرة إلى أخرى بطلاقة موظفين لغة إعجازية قائمة على الحذف والتلميح أكثر منها على التصريح أي أن عبارة وجيزة قد تحمل دلالات عميقة تتطلب فقرة أو نصا لشرحها وهو ما يشكل عائقا كبيرا لدى الأوربيين الذين غالبا ما وجودوا في معاني القرآن المترجمة إلى لغتهم عدم انسجام أو عدم تناسق لجهل أصحاب الترجمة بخصوصية هذه اللغة وبذهنية أصحابها لهذا فإن محمد أسد يرى أنه ما من مترجم قادر على فهم هذه اللغة إذا لم يطور بدوره ذهنية

شبيهة بذهنية البدو ويصبح قادرا هو الآخر على استحضار تلك الصور السريعة و يعبر عنها بنفس الايجاز والبلاغة في ذات الوقت.

ترجمة معاني القرآن الكريم عند آرثر ج. آربري:

كذلك أرثر .ج. آربري Arthur J. Arberry وهو مترجم آخر لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية، يؤكد بدوره على خصوصية اللغة العربية الموظفة في القرآن الكريم وهو يتبنى رأي شيوخ الإسلام الذين يعتقدون باستحالة ترجمة القرآن الكريم نظرا لإعجازه اللغوي، إذ يقرّ أربري أنه لم يدرك يوما مدى صدق المقولة "كل مترجم خائن" إلا وهو يترجم معاني القرآن الكريم نظرا لصعوبة تلك العملية: "بلاغة وإيقاع اللغة العربية الموظفة في القرآن يحملان خصوصية وقوة، واحساس عالي، مما يحكم على أي ترجمة بأن تكون مجرد نسخة فقيرة أمام روعة وبريق النص الأصلي. " [13] (ترجمتنا) ويبرّر رغم ذلك ترجمته لمعاني لقرآن وقيامه بتلك المهمة شبه المستحيلة بأنه حاول ولو ببعض النقائص محاكاة الشكل البلاغي و الايقاعي للنص الأصلي وهو ما لم يقم به أي مترجم من قبل حسب زعمه، فقد هدف في ترجمته إلى إظهار كل سورة كعمل فني كامل، ولم يأخذ بعين الاعتبار كون آيات السور أنزلت متفرقة يفصل بينها زمن لا بأس به، وإنما أراد أن يبين أنه ما قد يبدو عبثيا في عدم ترابط هذه الآيات بالنسبة للمتلقي الأوربي، يزيد من مستوى الجمالية ويثري مجمل السورة من ناحية الشكل والمعنى، كما اعتبر الآيات وحدات بلاغية تنتهي في كثير من الأحيان بالقافية كما هو الحال

في النص الشعري، غير أنه لم يفضل محاكاة هذه القوافي باللغة الانجليزية لأن الترجمات التي اعتمدت هذه المنهجية لم تكن موفقة، وانما حاول محاكاة ايقاع الآيات من خلال جمل انجليزية قصيرة وهو ما يعطي نظما للترجمة يشبه إلى حد ما النظم الشعري مؤكدا على أن وظيفة النظم القرآني تختلف على وظيفة النظم الشعري وهو ما يتطلب معالجة مختلفة أثناء الترجمة، كما أنه لابد من أخذ التباين في ايقاع الآيات في النص القرآني من حيث كونها هادئة أحيانا وسريعة أحيانا أخرى حسب ما تتناوله من مواضيع و لهذا يجب ظهور هذا التباين في الترجمة كي لا تعطي نصا مملا و فظا كما قال توماس كارليل عن ترجمة جورج سايل. ويختم أرثر ج. آربري مقدمة كتابه The Koran interpreted بسرد قصة كفيلة بأن توضح لنا كيف استطاع أن يفهم القرآن فهما عميقا و يتفاعل معه بالرغم من عدم اسلامه، فبعد أن يستحضر ليالي رمضان التي قضاها في منزله بالجزيرة- مصر مع جاره الذي كان يمارس السياسية ومولعا كذلك بالاستماع إلى الشيوخ المقرئين، يخبرنا أن جاره تعرض إلى اغتيال سياسي وأنه فقط في تلك اللحظة تفاعل مع كل تلك الآيات ونظمها وإيقاعها وتمنى أن تساعد تلاوتها جاره في عالمه الآخر بعيدا عن مشاكل و صخب و شغب العالم الذي أنهى حياته ومسيرته السياسية على وجه الأرض: "عندها فقط، ورغم عدم اسلامي، فهمت

وتفاعلت مع تلك الإيقاعات المثيرة للقرآن، التي لا تفهم إلا إذا استمع إليها في مثل ذاك الوقت و ذاك المكان." [14] (ترجمتنا).

انحراف ألكسندر روس في ترجمته لمعاني القرآن الكريم:

ذاك الاعتراف من آربري دليل قاطع على أن الترجمة الجيدة لمعاني القرآن الكريم لاعلاقة لها بمعتقد أو دين المترجم طالما حافظ هذا الأخير على موضوعيته ولم تكن له نوايا سيئة أو أحكام سلبية مسبقة على النص القرآني فعلى العكس كان آرثر ج. آربري شديد النقد تجاه بعض المستشرقين الذين قاموا بتلك الخطوة دون أي موضوعية بل دفعتهم العصبية الدينية والحقد تجاه هذا الدين، ونقصد هنا ألكسندر روس Alexander Ross ، وهو أول مترجم لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية رغم أن ترجمته لم تكن أصيلة إذ أن روس لم يكن يتقن اللغة العربية فاعتمد ترجمة أندريه دي رير André Du Ryer إلى اللغة الفرنسية كنص أصلي و من ثمة قام بالترجمة إلى الانجليزية فجاءت النتيجة كارثية مليئة بالأخطاء الفادحة سنة 1649 وقد وصف آربري بداية ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية "بالبداية غير المشرفة" نظرا لما كتبه روس مخاطبا قراء عمله:" هناك الكثير من الطوائف والهرطقات (البدع) التي توحدت ضد الحق، فبعد أن أدركت أن بدعة محمد تسعى إلى الحشد ،ظننت أنه من الأحسن أن أقدمها لكم بكل ألوانها كي تروا عدوكم في شكله الكلي، إذ عليكم أن تستعدوا أكثر لمواجهته و أتمنى أن تتغلبوا عليه...سوف تجدون (قرآنه) فظا و غير منطقي،

دون أدنى إحساس، مليء بالتناقضات، والكفر، والأحاديث الفاحشة والأساطير السخيفة... "[15] (ترجمتنا) هذا التصريح الذي يشبه بيان حرب صليبية أكثر منه مدخل إلى ترجمة نصية، ينزع أي مصداقية عن هذا العمل، وبالفعل لم تعد ترجمة ألكسندر روس تذكر إلا لضرب المثل بانعدام المهنية ولتشير إلى مدى التعصب الديني الذي غرقت فيه أوربا لعصور عدّة، غير أن الأمور تحسنت شيئا فشيئا و انتصرت الدقة العلمية على العصبية الدينية: "يعرف دور المترجم كقارئ غير عادي،فبينما يمكن أن تتدخل معتقدات القارئ العادي وقيمه، في عملية القراءة الخلاقة، فإن على المترجم أن يحمي قراءته للنص المصدر من هذه التدخلات، إذ أن عليه إيصال المواقف العقائدية وإيحاءاتها والتوجهات الثقافية لدى منتج النص المصدر إلى النص الهدف كما هي، دونما تأثر بمرئيات المترجم نفسه للواقع. "[16] من هنا يظهر أن الموضوعية شرط أساسي في عملية الترجمة، والأهم هو نقل عقيدة وثقافة صاحب النص الأصلي إلى النص المترجم دون تدخل قناعات المترجم أثناء عمله.

التفسير و التحليل البنيوي في ترجمة النصوص المقدسة:

إذا كان النص المتناول كموضوع للترجمة نصا مقدسا، فإن مفاد عملية الترجمة هو نقل العقيدة الموجودة في الكتاب إلى ثقافة أخرى وبيئة مختلفة، وهنا يظهر أنه على القارئ المترجم أن يمارس عملية التفسير exegesis على النص كي

يتمكن من الإحاطة بتلك العقيدة لأن التحليل اللغوي لا يكفي في هذه الحالة بل لابد من تفسير يتجاوز بنية النص، حتى أن مترجمي الكتاب المقدس في غالبيتهم يجمعون أن "الترجمة عملية تفسيرية "[17](ترجمتنا)، ونحن حين نقول تفسير النص نقصد به الإلمام بكل ما يحيط بالنص من حيث إدراك صاحبه وكل ما يخصه وكذا السياق الزمني والمكاني وكل الأحداث التي صاحبت النص أو سبقته أي كل المعطيات الخارجية التي تساعدنا على فهم نص ما أو جزء منه، غير أن التفسير كذلك لوحده لا يكفي فلا بد من تحليل شامل ووافي لكل النص أي أننا لو أردنا أن نفهم آية من القرآن الكريم علينا أن نفهم القرآن كاملا وهو ما ذهب إليه آندريه ميكال André Miquel حين قال:" لابد من معرفة القرآن بأكمله كي يتسنى الحكم على جزء بسيط منه "[18](ترجمتنا) هذا التحليل الداخلي للنص ليس من تخصص التفسير وإنما التحليل البنيوي وأما الفرق بين التفسير والتحليل البنيوي للنص فهو كما عبّر عنه القسّ وأستاذ علم اللاهوت السويسري فرانسوا بوفون François Bovon : "ما يفرق بين التحليل البنيوي والتفسير التقليدي، هو تغيير الميدان، فالتفسير كما يمارسه علماء الكتاب المقدس، يبحث عن الكاتب، وفكره ومرجعياته وعبقريته، في حين أن التحليلي البنيوي يضع الكاتب التاريخي بين قوسين للتركيز على النص ثم دراسة كيفية عمله باعتباره كيانا موحدا . "[19](ترجمتنا) وهو نفس ما يذهب إليه زومشتاين Zumstein حين يقول: " التحليل البنيوي ...لا يهتم...لا بالسياق التاريخي للنص، ولا

بالأحداث التاريخية التي سبقته، ولا بالكاتب ولا بالمتلقي الذي يخاطبه الكاتب إنما يركز على النص كموضوع مستقل لابد من دراسة بنائه وعمله الداخلي"[20] (ترجمتنا) و بهذا نستنتج أن كل من التحليل البنيوي والتفسير مهم في عملية الترجمة، إلا أن هذا يضعنا أمام مأزق آخر فالمترجم – المفسر بفضل قراءاته وتحليلاته للمعطيات الخارجية والتاريخية وإلمامه بعلوم الدين يتوصل إلى المعاني العميقة للنص الأصلي في حين أن قارئ النص المترجم لم يطّلع على كل ذلك، فكيف يجب على هذا المترجم-المفسر التعامل مع هذا النوع من القراء، وهم الغالبية العظمى؟

ثقافة المتلقي:

لابد على المترجم أن يدرس ثقافة قارئ النص المترجم للتعرف على المنهجية الأفضل لتقديم المعاني الموجودة في النص الأصلي حسب لغة و ثقافة هذا القارئ إذ لا يجب أن ننسى أن النص هو منتوج مرهون بظروف وسياقات زمنية واجتماعية معينة ،يكتبه منتجه للتواصل مع الآخرين، غير أن المترجم باعتباره المنتج الثاني للنص المترجم على أساس النص الأصلي فهو محكوم بسياقات زمنية وامكانية أخرى وبهذا عليه هو الآخر أن يتواصل مع قرائه الجدد حسب معايير جديدة ولهذا لابد أن يأخذ بعين الاعتبار و هو يكتب (يترجم) نصه ردة فعل المتلقي الجديد التي تكون مرهونة بمعارفه اللغوية و بثقافته المحلية وهو ما يشير

إليه إدموند كاريه Edmond Cary بسلسلة الأسئلة : ماذا تترجم؟ أين ومتى تترجم؟ لمن تترجم؟ إذ لايجب أن نغفل عن الوظيفة الأولى للترجمة وهي التواصل الذي لا يتم إلا من خلال الوضوح و إلغاء الشوائب التي من شأنها أن تعرقل عملية التواصل أو تشوش على الرسالة (المعنى)، يقول لوهس Lohse في هذا السياق: "حتى يسوع كان يأخذ بعين الاعتبار اهتمامات مستمعيه وذلك باستعمال لغتهم اليومية، كما كان يجيب على تساؤلاتهم موظفا المفردات المألوفة لديهم"[21] (ترجمتنا) أي أن وصول الرسالة أو معنى النص لا يكون إلا إذا خاطبنا الناس حسب ثقافتهم ولغتهم التي يألفونها، كذلك الترجمة كي تتمكن من نقل كل معاني النصوص لابد لها من الإبقاء على خصوصية كل لغة، والخصوصية هنا لا تعني فقط الأسلوب ولكن كذلك ثقافة أصحاب اللغة فكما سبق وقلنا اللغة ليست مجرد وعاء لنقل الرسائل بل هي خزان فكر وثقافة الشعوب، وإننا حين نترجم نجدنا أمام ثقافة القارئ، ولهذا لابد على المترجم من الابتعاد عن الذاتية قدر الامكان والذهاب نحو ثقافة قارئه ليحاول فهم العالم من وجهة نظره وبدلا من الحكم عليه حسب منظوره الخاص، عليه أن يتحلى بروح الفضول التي تمكنه من إدراك العقبات الثقافية بينه وين متلقي نصه، وفي هذا السياق يبين لنا نايدا من خلال تجربته و أبحاثه وكذا ترجمته للكتاب المقدس، المشاكل الثقافية التي تعترض مترجم النصوص الدينية، وقد أضفنا مثلا لكل نقطة من أجل إيضاح هذه المشاكل:

-**البيئة**: بعض الشعوب لاتعرف معنى الصحراء وبعضها لايعرف معنى الثلج.

-**الثقافة المادية** : مثل المزارع (إنجيل مرقس، الأصحاح الرابع) صعب الفهم بالنسبة للثقافات التي تزرع بطريقة مختلفة.

-**الثقافة الاجتماعية**: تعدد الزوجات عند ملوك و أنبياء اليهود غير مفهوم عند شعوب أخرى.

-**الثقافة الدينية** : مفهوم "ابن الرب " بالنسبة ليسوع غير موجود عند الشعوب الأخرى.

-**الثقافة اللسانية** : "الروح القدس "عند المسيحين تختلف في معناها عند المسلمين.

كل هذه المشاكل الثقافية التي تعترض طريق مترجم النصوص المقدسة، قد تدفعه دفعا إلى تطويع (تكييف) adaptation المفردات حسب ثقافة المتلقي، فهل التطويع هو الحل ؟و ما هي حدوده؟

التطويع (التكييف) في ترجمة النصوص المقدسة:

عند المسلمين و اليهود ،الأمر محسوم، فلا مساس بلغة القرآن أو التوراة لأنها جزء لا يتجزأ من قداسة النصين و لا يجب العبث بها وتعويض مفردات أو تعابير بمفردات أو تعابير أخرى بحجة إيصال المعنى لمن يجهلون الثقافة الأصلية

للنصين، في حين أن النقاش مطروح عند المسيحيين الذين كما سبق وأن شرحنا لا يؤمنون باللغة المقدسة. والتطويع أو التكييف في الترجمة هو استبعاد المفردات التي تشكل عائقا في الثقافة المتلقية واستبدالها بأخرى تلائم تلك الثقافة وبالتالي التخلص من العوائق الثقافية التي تعترض النص المترجم، وقد اعترض جون كلود مارغو على هذه الطريقة في الترجمة، بل واعتبرها خطيرة ومضرّة إذا ما انحرفت أو زادت عن حدّها، فالكتاب المقدس عند المسيحيين من حيث المبدأ هو كلام الرب مع البشر، وهو بهذا نص مقدس، وبما أن تحريف أو تغيير النص المقدس ممنوع و محرّم، بمعنى أنه لا يمكن تغيير الأحداث الموجودة فيه، فكيف يسمح بتغيير أو التلاعب بكلام الرب؟ كما أننا بتطويعنا المفردة أو العبارة حسب سياق ثقافي آخر وحسب المعطيات المزامنة لعملية الترجمة نكون قد عمدنا عن سابق اصرار وتصميم إلى حذف التفسيرات المختلفة التي قد يتضمنها النص واعتمدنا واحدة فقط وبالتالي رفضنا البقية وهو شكل من أشكال التعصب الديني الذي سيؤدي إلى كوارث حقيقية إذا ما تكررت هذه المحاولات، كما أن مارغو ينفي الأسطورة التي يتناقلها مترجموا الكتاب المقدس والمبشرون المسيحيون الذين حين شرحوا لشعب الإسكيمو محتوى الكتاب وترجموه لهم ،استبدلوا مفردة "الحمل " التي وردت مرارا في الكتاب المقدس بحيوان آخر لديهم وهو "الفقمة الصغيرة"، فلا دليل مكتوب عن هذا التطويع حسب مارغو و لا الفقمة الصغيرة يمكنها أن تعوض الحمل المذكور في الكتاب المقدس،

فالفقمة الصغيرة لا تحمل نفس المعنى الثقافي والرمزي والديني لشعب الإسكيمو كالذي يحمله الحمل في النص المقدس. كما أن الشعوب المتلقية ليست بهذه السذاجة كي لا تكتشف هذا التلاعب أو الأبوية التي يمارسها المترجمون عليهم، وهو ما يرويه تابر ونايدا عن أحد الزعماء الأفارقة الذي احتج على الرواية المكيفة حسب النموذج الإفريقي قائلا : "إذا سارت الأمور فعلا كما تقولون، فكيف لم يحدثنا أجدادنا يوما عنها؟ "[22] (ترجمتنا) لكننا إذا تأملنا عبارة المسيح في إنجيل متّى، الأصحاح السابع: 16 :"مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟ "سنتساءل كيف للشعوب التي لا تعرف العنب أو التين أن تفهم هذا القول؟ في هذه الحالة يخبرنا جون كلود مارغو أن التطويع (التكييف) لايضر إذ أن تغيير كلا من الفاكهتين لن يحدث أي تشويه لتعاليم المسيح و سيسمح استبدالهما بفاكهتين معروفتين في الثقافة الآخرى بالتعرف على هذه التعاليم، لكن ماذا لو تعلّق الأمر بمفردات جوهرية في النص؟ هل يمكن مثلا أن نعوض مفردة "أورشليم" لمن يجهلها بعاصمة دولة أخرى من أجل إيصال المعنى؟ الأكيد أن أي عاصمة أو مدينة أخرى لن يكون لها نفس المعنى لأورشليم فلو أخذنا العاصمة الفرنسية مثلا، لقلنا أن باريس بالنسبة للفرنسيين ليست مثل ما هي أورشليم بالنسبة لليهود، كما أن هذه المفردة تحمل شحنة ثقافية ودينية وتاريخية لاتحملها أي مفردة أخرى وعليه لابد من التخلي عن فكرة

التطويع بالاستبدال ونكتفي بإضافة كلمة أخرى مثل "مدينة" فنقول بدلا من "اورشليم" "مدينة أورشليم" وبهذا نكون قد أفهمنا المتلقي من ثقافة مغايرة بأن المفردة تدل على اسم مدينة، فما قمنا به في هذه الحالة ليس سوى إظهار لما هو مبطّن في النص.

تدخل المترجم لحلّ الغموض:

يقترح تابر ونايدا أن يتدخل المترجم في النص الأصلي بطريقتين أولهما اظهار ما هو مبطّن كما شرحناه سابقا، وثانيتهما كتابة ملاحظات المترجم ولكل طريقة أسبابها الخاصة التي تختلف عن الأخرى فإظهار المبطن حين تكون المعلومة موجودة أصلا في مضمون النص يدركها قرّاء النص المقدس الأوائل الذين كانوا يملكون المعطيات لفهم النص فهما دقيقا وكذلك يملكها القراء المتخصصون في النصوص الدينية أي الذين يملكون معارف واسعة في هذا المجال، أما بقية القراء من الذين يجهلون ما هو موجود في عمق النص، فالمترجم يتدخل لمساعدتهم في إدراكه وذلك بإظهار المعلومة دون المساس بمعنى النص، في حين أنه يدون ملاحظاته إلى جانب النص المترجم في الحالات التالية:

- **متغيرات (تعديلات) نصية هامة.**
- **اختلافات تأويلية كبيرة للنص.**
- **حوادث تاريخية من شأنها أن تؤدي إلى سوء فهم أو حتى عدمه عند الثقافة المتلقية.**

-لغة مجازية أو صورة بيانية قد يتعذّر فهمها.

-عبارة لا تحمل أي معنى بالنسبة للثقافة المتلقية خاصة لما يتعلّق الأمر بموضوع أو شيء منعدم في تلك الثقافة.

وسواء تعلق الأمر بإظهار المبطّن أو بتدوين ملاحظات المترجم، فذلك دليل على اهتمام الترجمة الشديد بردة فعل المتلقي ومدى استجابته للنص المترجم. وأن الحكم الحقيقي على أي ترجمة كما يقول مارغو ليس ذلك الناقد مزدوج اللغة الذي قد يجد بسهولة في مضمون النص المترجم ما يعرفه مسبقا عن النص الأصلي، وإنما هو القارئ وحيد اللغة الذي يقرأ النص المترجم دون أي معرفة مسبقة بالنص الأصلي أو لغته.

الكليات اللغوية و تساوي مرتبة اللغات:

مما سبق شرحه ،يتجلى لنا أن المشكل في الترجمة ليس في اللغة المستعملة وإنما في كيفية توظيف هذه اللغة من أجل إيصال الرسالة دون غموض فيتلقاها القارئ أو المستمع دون لغط أو استهجان ،فكل اللغات قادرة على التعبير عن نظرتها إلى هذا العالم، ولا توجد لغة أفقر من لغة ولا لغة أرقى من لغة وإنما خصوصية كل لغة هي التي تجعل الأساليب تختلف بمعنى أن المستوى السطحي هو الذي يختلف بين اللغات بينما المستوى العميق فهو ما تشترك فيه كل اللغات وهو ما نسميه "الكليات اللغوية " linguistic universals، التي تجعل

عملية الترجمة ممكنة رغم الاختلاف الظاهري بين كل لغات العالم، وهو ما يفسره الكتاب المقدس، في العهد القديم ،سفر التكوين باللغة الواحدة، التي بلبلها الرب عقابا للبشر بعد أن بنوا برج بابل:

[1]وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. [2]وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. [3]وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا». فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. [4]وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ». [5]فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. [6]وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. [7]هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». [8]فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، [9]لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. (سفر التكوين، الأصحاح الحادي عشر :1-9)

مهما يكن سر هذه اللغة الأصلية التي تنتمي إليها كل لغات العالم رغم اختلافها، فإن ما هو مثبت حسب نايدا هو اشتراك كل اللغات فيما يلي:

-العلاقات المنطقية: السبب/ النتيجة، الشرط/ جواب الشرط...إلى جانب الزمن، والمكان ...

-أنواع الخطابات الأساسية: القص، الحجاج، الحوار...

-الفصل بين أربع مجموعات دلالية: الأشياء، الأحداث، المفاهيم المجردة، العلاقات.

وعليه لايمكننا القول بثراء اللغة العربية مقارنة باللغات التي سنترجم إليها، فاللغة العربية لها عبقريتها شأنها شأن باقي اللغات والمشكل في ترجمة معاني القرآن الكريم لايكمن في فقر أو ضعف اللغات الأخرى بل في كيفية التعامل معها أثناء الترجمة وبناء على ما تقدم حول ما يخص المستوى السطحي والعميق للغات يقترح جون كلود مارغو، متبعا منهج نايدا، الخطوات التالية في ترجمة النصوص المقدسة:

-تحليل النص الأصلي بإحداث تعديلات على جمل النصوص وتبسيطها كي نمر بها من المستوى السطحي إلى المستوى العميق.

-الانتقال بتلك الجمل البسيطة من اللغة الأصلية إلى اللغة المستهدفة في المستوى العميق أين يكون الانتقال أسهل بين اللغات.

-إعادة صياغة تلك الجمل البسيطة للمرور بها من المستوى العميق إلى المستوى السطحي أين تظهر خصوصية كل لغة.

الخاتمة:

من كل ما سبق يمكن أن نقول أن المترجم في حالة الصفا والمروة بين صاحب النص الأصلي ومتلقي النص المترجم، يسعى إلى أن يكون وفيّا للأول وواضحا للثاني، والأمور تتعقد أكثر حينما يتعلق الأمر بالنصوص المقدسة التي لايمكن التلاعب بمحتواها أو اهمال تفاصيلها أو تزييف حقائقها وهي من أصعب العمليات الترجمية التي تسعى جاهدة لإيصال الرسالة الدينية إلى مختلف الشعوب باختلاف مشاربهم وثقافاتهم فالقرآن الكريم ومنذ سلمان الفارسي، أول من ترجم معاني سورة الفاتحة إلى اللغة الفارسية بموافقة الرسول إلى يومنا الحالي لا تزال معانيه تنتقل من لغة لأخرى باختلاف درجة جودة الترجمة، ورغم شقاء العملية والاعتراف المسبق باستحالة ترجمة القرآن الكريم باعتباره اعجازا لغويا، لايزال المترجمون يبدلون قصارى جهدهم لتفادي الأخطاء التي اقترفها من سبقوهم لذلك ربما من أجل إيصال المعنى القرآني لباقي الشعوب وربما لولعهم بهذا النص الذي غيّر تاريخ البشرية وربما ليسمحوا لغيرهم بالإحساس بمدى رقي هذا النص وانفراده، يقول العنتري الفول:

" لايمكن ولوج النص القرآني إلا باللغة العربية (لايعرف الذوق الحقيقي للكشمش الأسود إلا من تذوق ثمرته) إلا أن الترجمة من هذا المنظور، تعطينا فكرة عنه على الأقل وإحساسا به لعجزها عن جعلنا "نتملّكه":أي أن نفهمه فهما

حقيقيا، ونستأثر به بعد أن نستوفي فهمه، ونتعرّف عليه من الداخل، ونسكن في عالمه..." [23] (ترجمتنا).

قائمة المصادر و المراجع:

1) القرآن الكريم.

2) الكتاب المقدس ،كنيسة الأنبا تكلا-هيمانوت- الاسكندرية-مصر (نسخة رقمية).

3) حاتم باسل وميسون إيان (ترجمة عمر فايز عطاري)، الخطاب والمترجم، النثر العلمي والمطابع –جامعة الملك سعود، الرياض،1419ه/ 1998م

4) عناني محمد، نظرية الترجمة الحدية –مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة- الشركة المصري العالمية للنشر – لونجمان،2003.

5)Arberry Arthur J., The Koran Interpreted , New York, Macmillan, 1955 (PDF FORMAT)

6)Asad Muhammad, The Message of The Quran, Dar al-Andalous Limited, 1980 (PDF FORMAT)

7)Berman Antoine, l'épreuve de l'étranger, Paris, Editions Gallimard, 1984

8)Elfoul Lantri, traductologie, littérature comparée –études et essais- éditions Casbah, Alger, 2006

9)Margot Jean-Claude; Traduire sans trahir- La théorie de la traduction et son application aux textes bibliques, Lausanne, Editions L'Age de l'Homme, 1979

الفهرس

p.45 Paris, Editions Gallimard,1980, ,.1

2. باسل حاتم وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود- الرياض ،1419ه/ 1998 م،ص :8

3.محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، القاهرة ،ص:28

4. Jean-Claude Margot, Traduire sans trahir, Lausanne, Editions l'Age de l'homme, 1 1979,p. 128

1.5 باسل حاتم و إيان ميسون، الخطاب و المترجم، النشر العلمي المطابع-جامعة الملك سعود- الرياض ،1419ه/ 1998 م ،ص :21

6.ن.م

7. Jean-Claude Margot, Traduire sans trahir, Lausanne, Editions l'Age de l'homme, 1 1979,p. 73-74

8.باسل حاتم وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود- الرياض، 1419 ه/ 1998 م ،ص : 13

9. Lantri Elfoul, Traductologie- littérature comparée, Alger, Editions Casbah, 2006, p. 1 194

10. Jean-Claude Margot, Traduire sans trahir, Lausanne, Editions l'Age de l'homme, 1 1979,p. 38

11. Muhammad Asad, the Messqge of The Glorious Quran,Dar al-Andalous , 1980, 1 p.14 (PDF FORMAT)

12. Arthur J. Arberry, The Koran Interpreted,New york,Macmillan,1955, p. 07(PDF 1 FORMAT)

13. Arthur J. Arberry, The Koran Interpreted,New york,Macmillan,1955, p. 16(PDF 1 FORMAT)

14. Arthur J. Arberry, The Koran Interpreted,New york,Macmillan,1955, p. 19(PDF 1 FORMAT)

15. Arthur J. Arberry, The Koran Interpreted,New 1 FORMAT) (PDF04york,Macmillan,1955, p.

16.باسل حاتم وإيان ميسون، الخطاب والمترجم، النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود- الرياض ،1419ه/ 1998 م، ص :355

17. Jean-Claude Margot, Traduire sans trahir, Lausanne, Editions l'Age de l'homme, 1 1979,p. 30

18. Lantri Elfoul, Traductologie- littérature comparée, Alger, Editions Casbah, 2006, p. 1 266

19. Jean-Claude Margot, Traduire sans trahir, Lausanne, Editions l'Age de l'homme, 1 1979,p. 41

20. Idem

21. Jean-Claude Margot, Traduire sans trahir, Lausanne, Editions l'Age de l'homme, 1 1979,p.:37

22. Jean-Claude Margot, Traduire sans trahir, Lausanne, Editions l'Age de l'homme, 1 1979,p. 92

23. Lantri Elfoul, Traductologie- littérature comparée, Alger, Editions Casbah, 2006, p. 277